الرعاية الاسلامية للرهبان في دير صهيون في ضوء المراسيم السلطانية المملوكية

(صور من التسامح الديني)

أ . م. د. عمار مرضي علاوي

الجامعة العراقية - كلية الآداب

مستخلص

تمثل

المقدمة

شهد العصر المملوكي الثاني (المماليك البرجية) أحداثاً مهمة سواء على الصعيد الداخلي المتمثل بكثرة التمردات وعدم استقرار الوضع السياسي نتيجة عزل السلاطين وتولية آخرين، وعلى الصعيد الخارجي تحملت الدولة أعتى قوتين، قوة المغول ومحاولتهم السيطرة على بلاد الشام، وقوة الصليبيين الذين ما يأسوا من تكرار هجماتهم على بلاد الشام وبيت المقدس على وجه الخصوص. وعلى الرغم من ذلك لم يتأثر سلاطين المماليك بهذا الجو المغتم بل سيروا الدولة على أتم وجه من خلال وضع الامور في نصابها بقوة القوانين المفروضة على المجتمع.

واحتلت مدينة القدس أهمية كبيرة في تاريخ المسلمين على تعاقب دولهم، فكانت بحق مدينة التعايش السلمي بين الفئات والقوميات والديانات، بل تعدى الامر أبعد من ذلك حينما سطر السلاطين بأيديهم مراسيم ووثائق رسمية أثبتوا فيها حقوق النصارى وغيرهم من الديانات الاخرى، كحق مشروع في الحياة وممارسة الشعائر وفق ما قرره الشرع الحنيف.

وأهمية المراسيم لا تكمن في حفظ المؤرخين المسلمين لها، بل أن النصارى وغيرهم هم من احتفظ بها وشهدوا بعدالة المسلمين تجاههم، لذلك فإن هذه الدراسة جاءت بالمراسيم من مراجع ودراسات مختلفة متناثرة أغلبها أخذت من مراجع أجنبية قد حفظت تلك الوثائق. وهي محاولة لدراسة تلك المراسيم وبيان أهميتها وكيفية التعامل مع الرهبان، والامتيازات التي أعطيت لهم، وما هي انعكاساتها على بيئة مدينة القدس.

أولاً ــ التعريف بالرهبان الفرنسيسكان وأماكن وجودهم:

يعد الرهبان الفرنسيسكان نصارى ملكانيون، لكنهم ليسوا من الروم الأرثوذكس، وإنما من الروم الكاثوليك، أي أن ارتباطهم كان ببابا روما بشكل مباشر، ولهم رئيس روحي يمثل البابا، وقد اقتصر تواجدهم في القدس في دير جبل صهيون. وهم طائفة من الرهبان تنسب الى مؤسسها فرنسيس الآسيسي (١١٨٢-١٢٢٦م) الذي نشأ في إقليم أسيسي شمال إيطاليا، ودعا الناس لأن يحيوا حياة المسيح (عليه السلام) ويقلدونه في صفاته وأخلاقه، وتبعه عدد كبير من الناس وتحولوا فيما بعد الى جماعة ديرية وقد لقبهم أهل المقدس بـــ (رهبان أبي حبلة) لأنهم كانوا يلفون حول وسطهم قطعاً من الحبل[١]. وفي سنة ٦٢٠هـــ أصدر البابا هونريوس الثالث مرسوماً بابوياً اعترفت بموجبه الكنيسة الكاثوليكية بالرهبان الفرنسيسكان[٢].

وحقيقة الامر لا يعرف في ظل السيادة الاسلامية أن حصل تمييز عرقي أو حتى ديني، بل الامر كان في غاية السماحة والتسامح، ولا أدل من ذلك عهود وتوصيات السلاطين في ضرورة تمتعهم بحقوقهم على الرغم من الصراع الاسلامي ــ الصليبي ومثله المغولي، فلم تكن تلك الصورة انعكاساً على حريتهم. ففي سنة ٦١٨هـ سمح الملك المعظم عيسى[٣] بناءً على موافقة أخيه السلطان الكامل الايوبي[٤] (٦١٥ــ٦٣٥هـ)

للقديس فرنسيس وأتباعه من الرهبان بالإقامة في مكان متواضع فوق جبل صهيون ينقطعون فيه للعبادة[٥].

حتى أنه في سنة ٦٢٨هـ آلت اليهم سدانة كنيسة القيامة، وتم اطلاق لقب حماة القبر المقدس عليهم[٦].

وتكرر الحال نفسه في سنة ٦٤٤هـ عندما استطاع السلطان الايوبي الصالح نجم الدين أيوب[٧] (٦٣٧ــ٦٤٧هـ) استعادة بيت المقدس، أظهر التسامح الديني تجاهه، فقد سمح للرهبان بتولية أماكنهم المقدسة في علية صهيون وقاعة الحواريين[٨].

ولا أدل من شهادة النصارى أنفسهم في معاملة حكام المسلمين لهم في تلك الديار، فقد ذكر عيشويابه الذي تولى كرسي البطريركية للمدة (٦٤٧ــ٦٥٧هـ) المعاملة الحسنة التي حظوا بها قائلاً **((إنّ العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون إنهم ليسوا بإعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا، ويمدون يد العون الى كنائسنا وأديرتنا...))** [٩].

كذلك أصبحوا منذ سنة ٦٩١هـ في ظل سلطنة السلطان الأشرف خليل[١٠] (٦٨٩ــ٦٩٣هـ) مسؤولي حراسة الأماكن اللاتينية المقدسة في القدس [١١]. وفيما يخص أماكن العبادة الخاصة بالنصارى سواء الكنائس أو الاديرة، فقد أوضح العمري [١٢] أنّ هناك أربعون ديراً في القدس مخصصة لعدد من الطوائف النصرانية المختلفة. ويوجد أكثر من عشرين كنيسة موزعة بين هذه الطوائف في القدس[١٣].

ولعل ذكر هذه الارقام من الكنائس والاديرة يعطي إشارة الى خصوصية المدينة وتسامحها مع الديانات الاخرى، لا خنوعاً ولا استسلاماً بل حفاظاً على النسيج المجتمعي وتنفيذاً

وإذعاناً لأوامر الشرع الحنيف في التعامل مع الآخر. كذلك اهتمام المؤرخون المسلمين في احصاء هذه الاماكن ما يعطي أهمية المدينة لديهم.

ولعل من أشهر الكنائس الموجودة في المدينة، هي كنيسة القيامة التي سنولي حديثاً عنها باعتبارها ضمن الحقبة الجغرافية للدراسة.

كنيسة القيامة: هناك عدة تفسيرات لتسمية الكنيسة، منها أنها سميت بهذا الاسم، لاعتقاد النصارى أن فيها قبر النبي عيسى (عليه السلام)، وأنه قام بعد ثلاثة أيام من صلبه وخلص النبي آدم (عليه السلام) من الجحيم، أما المصادر العربية فتُطلِق عليها اسم (قمامة)، ويذكر أن السبب في هذه التسمية يعود الى أن المكان الذي أُقيمت فيه كان مزبلة للمدينة، كما كان يتم فيه قطع أيدي المفسدين، ويُصلَب به اللصوص، لذلك سميت الكنيسة باسم هذا المكان [١٤].

وهناك رأي آخر أن اليهود قاموا بدفن خشبة الصليب وجعلوا فوقها القمامات والنجاسات، فاستعظمت ذلك هيلين والدة قسطنطين عند مجيئها للقدس، فاستخرجتها وغسلتها وغشتها بالذهب، وبنت مكانها كنيسة القيامة [١٥]. وعلى ما يبدو أن سبب التسمية بالقمامة هو من باب الاستهزاء والتقليل من شأنها.

وكان موقع كنيسة القيامة في وسط المدينة وهي كبيرة، فقد وصفها القزويني بقوله [١٦] **((لا ينضبط صفتها حسناً وعمارة وتنميقاً وكثرة مال))**. كذلك وصفها العليمي قائلاً [١٧] **((وكنيسة قمامة... فإنها عندهم بمكان عظيم وبناؤها في غاية الإحكام والإتقان، يقصدونها في كل سنة في أوقات عديدة من بلاد الروم والإفرنج ومن بلاد الأرمن ومن الديار المصرية والمملكة الشامية وسائر الأقطار، ويسمونها القيامة ويزعمون أن حجهم إليها ...))**.

ثانياًــ رعاية الرهبان في ظل المراسيم والمواثيق السلطانية:

لا بد في مطلع حديثنا عن التسامح الديني الذي أبداه المماليك تجاه أهل الذمة، أن نعرج قليلاً الى أهمية علم الوثائق في حفظ المراسيم والوصايا والعهود والمواثيق، التي تعد دليلاً محفوظاً وشاهداً على العصر الذي كتبت فيه. فالوثائق هي مصدر مهم من مصادر الدراسات التاريخية لا غنى عنها لدقتها ومصداقيتها.

فالعصر المملوكي شهد نوعاً من الكتابة التاريخية بهدف الحفاظ على تراث الامة المشتت في ألوف الرسائل المبعثرة وجمعها في كتب جامعة، فالفت هذه الكتب التي جاز لنا أن

نسميها بالموسوعية وقد مثل أركانها كلاً من النويري (ت٧٢٣هـ) بكتابه نهاية الارب في فنون الادب، والعمري (ت٧٤٩هـ) بكتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار، والقلقشندي (ت٨٢١هـ) بكتابه صبح الاعشى في صناعة الانشا، والعيني (ت ٨٥٥هـ) بكتابه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، وبيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ) بكتابه زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة.

لذلك شهد العصر المملوكي عدداً من الديوانيين الذين امتازوا بثقافتهم الواسعة، وخيالهم الخصب وأسلوبهم الرائع الرشيق المتين، فجاءت الوثائق التي ديجوها قطعة فنية ونماذج أدبية نثرية يمكن احتذاؤها، وفي المقابل تعكس اهتمامات وثقافة وبلاغة العصر، الى جانب عكسها ثقافة وبلاغة مؤلفيها، وعظمة وكبرياء الملوك والسلاطين الذين استخدموا هؤلاء الكتاب الديوانيين[١٨].

وإذا انتقلنا الى الالقاب التي حصل عليها الرهبان النصارى، نجد أن الدولة المملوكية كانت تتعامل بأقصى درجات الاحترام والتقدير، وتنزيلهم المنزلة الرفيعة التي دلت عليها تلك الالقاب ذات الدلالة الواضحة. فقد كانت الالقاب تطلق على صيغتين، الصيغة الاولى كما وضحها القلقشندي بقوله [١٩] **((البطرك المحتشم، المبجل، فلان، العالم بأمور دينه، المعلم أهل ملته، ذخر الملة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية، المشكور بعقله، عند الملوك والسلاطين، وفقه الله))**. كذلك الصيغة الثانية تضمنت ألقاباً ونعوتاً عالية المكانة **((مجلس القسيس، الجليل، الروحاني، الخطير ن المتبتل، ابن المطران، الناصب الخاشع المبجل، قدوة دين النصرانية، فخر الملة العيسوية، عماد دين المعمودية، جمال الطائفة الفلانية، صفوة الملوك والسلاطين، فلان أدام الله تعالى بهجته))**[٢٠].

وعلى الرغم من الطبيعة العسكرية للماليك إلّا أنهم لم يبتعدوا عن تعاليم الاسلام في التعامل مع الآخر، فقد برهنت مراسيمهم وعهودهم على تسامحهم وعدالتهم تجاه النصارى وغيرهم، ففي سنة ٧٩٠هـ أصدر السلطان الظاهر برقوق[٢١] (٧٨٤ـ٨٠١هـ) مرسوماً عاماً أمره الى الامراء والولاة والنواب والمتصرفين بالطرقات المصرية والبلاد الشامية، يتضمن أن ناظر كنيسة القيامة يمنع الرهبان من زيارتها ويخرجهم من القدس لقطع مصانعتهم، ومن ثم يقرر المرسوم منع الناظر وغيره من التعرض اليهم بغير سبب وإجرائهم في ذلك على جاري عاداتهم إذا قاموا بما عليهم من الحقوق السلطانية [٢٢]. وفي سنة ٧٩٨هـ أصدر السلطان

برقوق مرسوماً آخر في معاملة الرهبان بالحسنى، ونصه ((**بسم الله الرحمن الرحيم، صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالي المالك الاميري الاجلي الكبيري العنصري الاوحدي الذخري النصري المجاهدي المؤيدي العلامي، مجد الاسلام بهاء الانام، شرف الامراء زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، أدام الله تعالى تأييده وتشديده، توضح لعلمه المبارك أن جماعة رهبان الفرنج أنهم مقيمين بداخل القمامة لأجل خدمة كنائسهم ولهم مساكن معروفة بهم من قديم الزمان، ولم تكن جرت عادة أحداً أن يعارضهم في مساكنهم، وقد قصدوا جنس الروم أن يسكنوا بمساكنهم التي بأيديهم وبهم معروفة. ورفعوا أيدي المذكورين عن أملاكهم وبأيديهم محاضر شرعية تشهد لهم بالمساكن المذكورة أنها خادمة بأيديهم من قديم الزمان دون غيرهم، ومرسومنا للمجلس العالي أن يتقدم أمره المبارك بحملهم على ما بأيديهم من المحضر الشرعي الشاهد لهم بالمساكن المذكورة، ومنع جنس الروم من التعرض لهم أو لمساكنهم مع الوصية بهم في ذلك ومراعاتهم والإحسان اليهم، ويستقر المثال الشريف بأيديهم بعد العمل به، فيحيط علمه الكريم بذلك إن شاء الله تعالى. كتب في سابع عشر الحجة الحرام، سنة ثمان تسعين وسبعمائة حسب المرسوم الشريف، الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم**)) [٢٣]. وهذا النص لا يحتاج الى تفسير سوى أنه يؤكد على معاملتهم بالحسنى وفق المرسوم المذكور بلا نقصان.

ونجد أن الرهبان قد تمتعوا بكافة الحقوق والامتيازات من قبل سلاطين الدولة المملوكية، بما في ذلك بعمارة كنائسهم وممارسة طقوسهم، ففي سنة ٨٢٩هـ أصدر السلطان برسباي[٢٤] (٨٢٥ـ٨٤٢هـ) مرسوماً خاصاً الى نائب السلطنة والقضاة وولاة الامور في القدس يتضمن اعلامهم الموافقة على السماح لرهبان دير صهيون في القدس بعمارة كنيسة دير صهيون على النحو الشرعي[٢٥]. وفي سنة ٨٣١هـ صدر مرسوم خاص من السلطان برسباي الى نواب السلطنة في دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد وغزة والقدس، ملخصه أن يرثوا موتاهم من الرهبان، وأن يدفنوهم حيث يشاؤون، وأن يأكلوا ما يشتهون، وأن يشتروا العنب الذي ينفعهم بصنع شرابهم لاسيما ما فاض عن حاجة المسلمين، وأن لا توضع العراقيل في الذهاب والاياب، وأن لا يلزموا ضريبة، وأن يدخلوا كنيسة القيامة من غير كلفة[٢٦].

وهذا المرسوم يوضح مدى التسهيلات التي حظي بها الرهبان وأتباعهم في ظل السيادة المملوكية، وهو بلا أدنى شك يعبر عن روح التسامح.

كذلك صدرت عدة مراسيم من السلطان برسباي، وهي عبارة عن مجموعة مواثيق وفتاوى في سنة ٨٤١هـ مرسومة من السلطان، ملخصها بناء على أمر قاضي القضاة الحنفية في الديار المصرية بدر الدين العيني[٢٧] بشهود الموقعين على المحضر من أهالي القدس بمعاينة حالة كنيسة علية صهيون، وما لحق بها من ضرر بعد الاقرار بأن هذه الكنيسة يتوارثونها جماعة بعد جماعة، وملحق بهذا المحضر فتوى أصدرها قاضي القضاة بدر الدين العيني بخصوص تجديد الرهبان لعمارة كنيسة علية صهيون، وملحق بها أيضاً عدة محاور شرعية تشهد بأنه بعد الكشف على ما تم من بناء الدير والكنيسة أن جاء ذلك مطابقاً لما سمح به[٢٨].

ومن بين السلاطين الذين أظهروا احتراماً ورعاية للنصارى، السلطان الظاهر جقمق[٢٩] (٨٤٢-٨٥٧هـ)، ففي سنة ٨٥١هـ سمح للرهبان الفرنسيسكان بعمارة ما تهدم من ديرهم، وأصدر بذلك مرسوم خاص من نائب السلطنة بالقدس الى ناظر الحرمين الشريفين بمعاينة ما تهدم من حوائط دير صهيون، وتمكين الرهبان من تكملة بناء ما هدم من ديرهم على حكم الشريعة المطهرة [٣٠]. بينما نجد مرسوماً للسلطان جقمق مشابهاً للمرسوم آنف الذكر لكن في سنة ٨٥٠هـ وبه تفاصيل أوفى **((الريسي الاوحدي الاميني مجد الاسلام والمسلمين، شرف الرؤساء في العالمين، فخر الامناء جمال البلغاء، أوحد الاصلاء زين الامائل المعتبرين، صفوة الملوك والسلاطين أدام الله تعالى نعمته وجدد مسرته، وموضحة لعلنه أن جماعة الغارديان والرهبان بدير صهيون بالقدس الشريف رفعوا قصة لمواقفنا الشريفة قرأت على مسامعنا الشريفة أنهوا فيها أن بدير بيت لحم أماكن قد خربت وتهدمت من كثرة الامطار والاهوية، وأنهم يخشون من طارق يتوصل منها الى داخل أماكنهم ويحصل لهم بذلك الضرر، وأنهم أوصلوا هذه القضية بالمجلس العالي وبالمجلس العالي الاميري الكبيري السيفي النايب بالقدس الشريف وكاشف الرملة والقضاة بالقدس الشريف، وأنهم أمروا المهندسين بكشف ذلك بحضور العدول وأنهم مروا بعمارة ذلك على ما كان عليه أولاً من غير زيادة وتلبيس أسطحته بالجبس وترميمه وقطع قرطسه، وأنهم كتبوا بذلك محضراً، ومرسومنا للمجلس العالي أن يتقدم بالركوب بنفسه ويتوجه الى الدير المذكور ويكشف الاماكن المذكورة ويعمل فيها بما**

تقتضيه حكم الشرع الشريف ويراه ذمة المجلس العالي عند الله عز وجل، فإنا نتحقق دينه وخيره وجودته، والقصد في ذلك العمل بما تقتضيه الشريعة المطهرة، وكتبنا الى المجلس العالي النائب القدس الشريف وما مع ذلك بمعنى ذلك، وذكروا في قصتهم أن من جملة حقوق الدير المذكور مكاناً ملاصقاً بجداره ينتفعون به في زراعة الخضروات وأنه لما قل ترداد الرهبان الى المكان المذكور للدير قديماً وهو مع حقوقه والواضع اليد عليه الآن بغير حق ، فيعاد اليهم على الوجه الشرعي، وذكروا في قصتهم أنه إذا ورد راهب مستجد من بلاد الفرنج أنه يزين الموجب السلطاني مرة واحدة، وأنه إذا سافر لإحضار الصدقة ثم عاد لا يعطي شيئاً، وكذلك رئيس الدير لم يكن له عادة بوزن شيء قط، وأنه في هذا الوقت تم من أحدث عليهم حادثاً ويلزمهم بإعطاء ما لم تحجر لهم به عادة فيتقدم المجلس العالي ويكشف عن أمرهم قديماً ويجروا في ذلك على جاري العادة في الايام الناصرية والمؤيدية، وذكروا في قصتهم أيضاً أنه لهم ترجماناً نصرانياً يسمى يوسف يتعاطى أسباب مصالحهم ويقضي حوائجهم ويخدمهم على ما جرت به العادة وقرروه الحكام من قديم الزمان، وأنه لم يكن له جرمة ولا جنحة وتم من يقصد استبداله بغيره ويقصد بذلك قطع مصانعتهم ويحصل لهم بذلك الضرر، فيتقدم المجلس العالي بالكشف عن يوسف المذكور وإن لم يكن صدر منه ذنب ولا جرمة فيستمر في ترجمتهم على عادته، وقد كتبنا الى المجلس العالي السيفي النائب بالقدس الشريف وكاشف الرملة وأعلمناه بذلك كله. فليحيط علم المجلس العالي بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه إن شاء الله. كتب في حادي عشر من القعدة الحرام من سنة خمسين وثمان مئة حسب المرسوم الشريف، الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه حسبنا الله ونعم الوكيل)) [٣١]. وقد اشتمل هذا المرسوم الواسع في أوامره لمن هم في موقع التنفيذ، وهو يشير الى إعادة ما تهدم من أجزاء الكنيسة، فضلاً عن السماح لهم في الدخول والخروج بحرية دون مضايقة، وهذا ــبلا مبالغة ومجاملةــ من أروع ما كتب من عهد وميثاق، وهو مطابق لما جاء به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الوثيقة العمرية عندما فتح بيت المقدس. ويبدو أن هذين المرسومين كانا بعد طلب من ملك الحبشة زرع يعقوب، الذي أرسل سفارة الى السلطان جقمق سنة ٨٤٧هـ، وفيها هدية فاخرة ورسالة طويلة يطلب فيها حسن الرعاية بالنصارى الموجودين في البلاد والتخفيف على الاقسة والرهبان، وأن يتولى

البطريك مال من يموت ولا وارث له، ودفن موتاهم دون أن يتعرض لهم، وعدم التعرض للنصارى في كنائسهم وقت صلاتهم وفي أيام أعيادهم [٣٢].

ومن بين السلاطين الذين اهتموا بأمر الرهبان وما لهم من حقوق، السلطان خشقدم[٣٣] (٨٦٥ــ٨٧٢هـ) الذي أصدر مرسوماً عاماً لصالح رهبان دير صهيون في ٢٨ صفر ٨٦٩هـ، الذي يظهر مدى الاهتمام والرعاية الكبيرة تجاه هؤلاء، وملخص المرسوم أن لا يكلفوا ولا يلزموا بكلفة ولا تسفير إلّا إن كان لهم اسماً، ويمكنوا من دفن موتاهم، والسماح لهم بشراء العنب ونقله من دير الى دير ومن كنيسة الى كنيسة، ويمكنوا من التوجه الى بلادهم، واعفاء الرهبان من الضريبة عند دخولهم كنيسة القيامة، وتمكين رئيس دير صهيون من إقامة اثنين وثلاثين أو أربعين راهباً بكنيسة القيامة، والسماح لهم بإعادة ما تهدم من مساكنهم، وأن لا يجبروا بفتح ديورتهم ببيت لحم وكنايسهم ببيت لحم وعين كارم إلّا برضاهم، ولا تمنع الصدقة الواردة لهم، ولا يعارضوا في جميع مزاراتهم، واذا اعتدى أحد من طوائف الفرنج على أحد من المسلمين في البر والبحر لا يلزم الرهبان بذلك. ولا يتعرض للرهبان الواصلين الى ميناء يافا، ولا يغصبهم أحد من المكارية على الركوب إلّا برضاهم، أو الترجمة لهم إلّا إن كان بيده مرسوم شريف، ولا يمكن أحداً من طوائف النصارى من الدخول الى أماكنهم إلّا برضاهم[٣٤].

هذا المرسوم فيه من الرعاية والتسامح والسماحة ما لا يوجد في دين أو دولة غير إسلامية، بعيداً عن العاطفة أو التحيز، وهي ــ الحقوق والامتيازات ــ نابعة من ديننا الحنيف الذي أوصى بهم في ضوء الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة.

وعلى الرغم من الرعاية والحرية التي تمتع بها هؤلاء الرهبان ورعاياهم، لكن نجد أنهم لم يكتفوا بذلك وحاولوا التوسع على حساب حدود أماكنهم، فيذكر أنه في سنة ٨٩٤هـ قام الرهبان بإحداث كنيسة بظاهر القدس الشريف بالقرب من الدير، زاعمين أن مكانها هو مقام للسيدة مريم (عليها السلام) وأحكموا بناءها، وأصبحت كنيسة محدثة في الاسلام [٣٥].

ولم تقتصر المراسيم على اعطاء الحقوق والحريات للنصارى، بل تعدت الى اصلاح أماكن عبادتهم التي تعرضت للسقوط نتيجة تقادم الزمن عليها، ففي سنة ٩٠٤هـ صدر مرسوم من السلطان قانصوه الغوري[٣٦] (٩٠٤ــ٩٢٢هـ)، ما ملخصه أن كنيسة القيامة انهدم منها ركن ملاصق للخانقاه الصلاحية[٣٧] بناءً على ما أخبره بها ناظر الخانقاه، وأن الخانقاه ربما

تتداعى للسقوط بسبب ذلك، ويقضي المرسوم الى النائب وناظر الحرمين الشريفين أن يقفا ويحررا ذلك التحرير الشافي بحضور المهندسين والمعمارية ورد الجواب على ذلك، فجاء المرسوم بالسماح بعمارة ما تهدم من كنيسة القيامة، فلما قرئ المرسوم عاج أهل القدس وأطلقوا لسانهم في منع ذلك، إلّا أن القضاة كتبوا على محضر أن ما أنهي صحيح وأنه إذا لم يعمر هذا الخسف وقعت الخانقاه، وكانوا قبل ذلك امتنعوا بأن الانهاء باطل [٣٨].

وهناك مرسوم آخر من السلطان قانصوه الغوري في سنة ٩١٩هـ وهو ملصق على باب كنيسة القيامة يتعلق بمعاملة النصارى في القدس، ونصه **((بسم الله الرحمن الرحيم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الاشرفي السيفي أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه.**

أن لا يكرهوا جماعة الرهبان النصارى والرهبانيات الملكيين واليعاقبة بموجب ولا بخفر ولا بظلم عند دخولهم قمامة القدس الشريف أسوة رهبان الكرج والحبوش، ولا عند دخولهم الى ميناء يافا ولا عند خروجهم من يافا ولا في مدينة غزة ولا في رملة لدّ الواردين من الرهبان والرهبانات من المذكورين في البر والبحر وكل ناحية لزيارة بيت المقدس، مستمر حكم ذلك من تقادم السنين من غير إحداث حادث ولا تجديد مظلمة ومنع من يتعرض اليهم بسبب ذلك أوفى كمنيرهم، وهي تربتهم التي يدفنوا بها، ولا يتعرض أحد الى موتاهم ولا لبوابهم، ومسامحة الرهبان والرهبانات من طايفة الروم والقبط من الموجب بالأعمال المذكورة في البسط والموسم على جاري عادتهم ومنع من يعارضهم في ذلك حملاً في ذلك على ما بيدهم من المربعات الشريفة السالفة، والمربع الشريف الاشرفي الذي بيدهم عند انهائهم أنهم رهبان وأهل ذمة ومنقطعين، وأن بيدهم عهدات وسجلات ومربعات شريفة شاهدة لهم بذلك، وسألوا كتابة هذا المرسوم الشريف بذلك جميعه، وأن ينقش شرح ذلك برخامة وتلصق بباب القمامة وليصير ذلك تذكرة بعدل مولانا المقام الشريف عز نصره على ممر الدهور والايام صدقة عليهم عند تمثل القس صفرونس الراهب الملكي ورقعته لدى المواقف الشريفة، فرسم لهم بذلك بمقتضى القصة المرفوعة عن الرهبان والرهبانات المشمولة بالخط الشريف حسب الامر الشريفي شرفه الله تعالى وعظمه. بتاريخ اليوم المبارك التاسع من شهر الله المحرم

الحرام سنة تسع عشرة وتسعمائة، والحمد لله وحده مصلياً ومسلماً على من لا نبي بعده))[٣٩].

ويبدو أن سبب اصدار هذا المرسوم هو نتيجة لما آلت اليه العلاقات المملوكية الصليبية، فيذكر أن الصليبيين بما فيهم البنادقة الذين استولوا على بضائع التجار المسلمين أثناء المرور في مياه البحر المتوسط، الامر الذي أدى الى خسارة التجارة المملوكية، فما كان من السلطان قانصوه أن أصدر في ١٣ جمادى الاخرة سنة ٩١٦هـ أمراً بإلقاء القبض على جميع التجار الاوربيين المقيمين في الاسكندرية ودمياط، وجميع الرهبان الفرنسيسكان في دير صهيون وكنيسة القيامة، ولما حضروا الى السلطان تكلم معهم بشدة وغلظة وطلب منم مكاتبة الاوربيين لإعادة السفن مهدداً إياهم بغلق كنيسة القيامة، وفعلاً أرسل الى نائب القدس ليتولى غلق الكنيسة والاحتياط على ما للفرنج بها من أموال، وأجبر رئيس دير الرهبان على تسليم ما لديه من أموال مخبأة وتحفاً وذخائر كنيسة بلغت بآلاف الدوكات[٤٠]. وفي صفر من سنة ٩١٨هـ وصل سفير البندقية الى القاهرة عاصمة المماليك للتوسط في إطلاق سراح الرهبان وأمر كنيسة القيامة، فتم الصلح في ذلك وعقد معاهدة تجارية بين البلدين[٤١].

والباحث في تاريخ المماليك يجد في تلك المراسيم السلطانية خير دليل على التسامح الذي أبداه السلاطين تجاه الرهبان، ولعل مجمل هذه المراسيم تتناول الامور التالية [٤٢]:

١ـ حرية التعبد للرهبان وعدم التعرض لهم في زيارة الاماكن المقدسة التي جرت عادتهم على زيارتها والتعبد بها، كما تنص على اعفائهم من أية مكوس تجبى منهم على زيارتهم لكنيسة القيامة وغيرها من المزارات المسيحية.

٢ـ معالجة شؤون حياتهم ومعاشهم، وتقرير الاعفاءات المالية لهم في الحالات التالية:

أـ حرية السفر الى الخارج وحرية العودة الى فلسطين دون جباية أي مكوس منهم.

ب ـ حرية التنقل لهم ولأتباعهم داخل فلسطين، ومعاملتهم بالحسنى وبما تقتضيه قواعد العدالة.

ت ـ عدم جباية أية أتاوات منهم عند قيامهم بترميم منازلهم.

ث ـ عدم جباية أية مقررات مالية منهم في مناسبات معينة، كمناسبة تولية نائب جديد للقدس، أو مناسبة قدوم رسول من قبل السلطان.

ج ــ الاعفاء الجمركي لما يرد اليهم من بلادهم من موارد غذائية، وألّا يمنعوا من تقبل الهبات التي تقدم اليهم من مواطنيهم في أوربا.

ح ــ عدم فرض أية قيود على نقل المواد الغذائية الخاصة بهم داخل فلسطين، ومن دير الى دير.

خ ــ معالجة شؤونهم الخاصة دون تدخل من أحد.

د ــ ميراث من يموت منهم يؤول اليهم.

ذ ــ عدم التعرض لهم في أموالهم وممتلكاتهم الخاصة.

ر ــ تأمين سلامتهم الشخصية وعدم التعرض لهم بأذى أو مكروه.

٣ــ عدم مسؤوليتهم إزاء ما يحدث من غارات المتجرمة في البحر من الفرنج على سفن المسلمين، أو على الثغور المصرية والشامية.

٤ــ فضلاً عن مراسيم تتعلق برفع مظلمة معينة عنهم، أو فصل في المنازعات بينهم وبين الطوائف المسيحية الاخرى، أو السماح لهم بترميم كنائسهم وأديرتهم.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الغاية من إصدار هكذا مراسيم، أو ما هو الدافع وراء هذه الحقوق والرعاية تجاه الرهبان ؟

حقيقة الامر أن سلاطين المماليك بما عرف عنهم من الدفاع عن المسلمين ومقدساتهم، كذلك كان لهم موقفاً من الديانات الاخرى لا يختلف كثيراً عن غيرهم، وهذا الامر يمكن استنتاجه في ضوء الالتزام بمبادئ الشرع الحنيف الذي طبقه سلاطين الدولة، ومن مبدأ التعامل مع غير المسلمين وفق التسامح وعدم الاكراه والاعتداء ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[٤٣]. فضلاً عن أن المماليك أرادوا أن يظهروا للعالم أنهم حماة للأديان وليس الدين الاسلامي فحسب، من خلال أعداد اليهود والنصارى في كلاً من مصر وبلاد الشام لاسيما القدس. كذلك الالتزام بالوثيقة العمرية التي كتبها لأهل القدس والامان الذي منحه لهم، الذي هو **((بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد اللَّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من**

أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيَعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد اللَّه وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بْن الوليد، وعمرو بْن العاص، وعبد الرحمن بْن عوف، ومعاوية بْن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة)) [٤٤].

ولا ننسى مكانة القدس وأهميتها للعالم أجمع، فهي بالنسبة للمسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وكذلك الامر للنصارى الذين تمسكوا بما لهم فيها من مقدسات. وأخيراً ديمومة العلاقات الدولية من خلال الاعداد الموجودة فيها من مختلق الجنسيات، فكانت رسالة سلام واطمئنان لهم في الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا بصورة موجزة لأهم المراسيم السلطانية المملوكية الممنوحة للهبان الفرنسيسكان، كان لا بد من وقفة على أهم النتائج المستوحاة من المادة المعروضة.

١ــ تعد دولة المماليك الجراكسة نموذجاً في التعايش السلمي في ضوء المراسيم والمواثيق التي أصدرها سلاطينهم.

٢ــ تعد هذ المراسيم شاهد عيان وتراث مكتوب غير قابل للطمس أو التضليل، فهي شهادة مكتوبة للحقوق والامتيازات التي حصل عليها النصارى في ظل دولة المماليك ما لم يحصلوا عليه في أي دولة أو إمارة غير مسلمة كاليهود مثلاً عندما احتلوا بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ وما فعلوا بالمدينة من مجازر.

٣ــ هناك نقطة مهمة هي أن هذه المراسيم والمواثيق جاءت بناءً على طلب الرهبان من السلاطين في معالجة أحوالهم المعاشية والدينية، فنجد عبارة بناءً على ما رفعه الينا... وهذا لا يعني أن السلاطين لم يهتموا بالنصارى على العكس كانت العناية واضحة للعيان.

٤ــ لعل في إصدار السلاطين للمراسيم بمثابة رسالة للعالم الغربي على وجه التحديد أن دولة المماليك هي دولة التعايش والتسامح لاسيما القدس التي شهدت نسيجاً اجتماعياً قل نظيره حتى في مجتمع الديانتين اليهودية والمسيحية.

٥ــ ونلاحظ أن سلاطين المماليك حتى في أوقات الازمات والحروب مع الصليبيين لم يهملوا العناية والمتابعة للنصارى في القدس، وهذا لا يعني أنه لم تحصل مضايقات أو سوء تصرف، لكن في الغالب الاعم أنهم تمتعوا بحماية وعناية فائقة.

٦ــ أخيراً وليس آخراً مثلت مدينة القدس نموذجاً فريداً من التعايش السلمي والمجتمعي بين الديانات السماوية، بفضل الحماية والرعاية التي أولاها سلاطين المماليك للمجتمع المقدسي بمختلف شرائحه، وعكست الصورة الحقيقية للإسلام في التعامل مع الآخر على أساس حق العيش والحقوق.

جدول يوضح المراسيم السلطانية المملوكية وتواريخها

التسلسل	السلطان	تاريخ المرسوم	موضوع المرسوم
١	الظاهر برقوق	٧٩٠هـ	مرسوم عام منع التعرض للرهبان
٢	الظاهر برقوق	٧٩٨هـ	مرسوم خاص معاملة الرهبان بالحسنى
٣	برسباي	٨٢٩هـ	مرسوم خاص لعمارة كنيسة دير صهيون
٤	برسباي	٨٣١هـ	مرسوم خاص أن يرث الرهبان موتاهم
٥	برسباي	٨٤١هـ	مجموعة مراسيم تخص تجديد عمارة كنيسة علية صهيون بعد فتوى القضاة بذلك
٦	جقمق	٨٥٠هـ	مرسوم بضمان حقوق الرهبان في العبادة والمعيشة
٧	جقمق	٨٥١هـ	مرسوم يسمح للرهبان بعمارة ما تهدم من ديرهم
٨	خشقدم	٨٦٩هـ	مرسوم عام للرهبان في عدم تكلفتهم وضمان حقوقهم في العيش والتنقل
٩	قانصوه الغوري	٩٠٤هـ	مرسوم يقضي بعمارة كنيسة القيامة التي انهدم جزء منها نتيجة الامطار وغيرها
١٠	قانصوه الغوري	٩١٩هـ	مرسوم ملصق على باب كنيسة القيامة يتضمن معاملة النصارى في القدس

هوامش البحث ومصادره:

(١) كانتور، فورمان: التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٣م)، ج٢، ص ٦٧٠-٦٧١.

(٢) السيد، الدكتور علي السيد: القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١ (القاهرة: ١٩٨٦ م)، ص ٩٣ وما بعدها.

(٣) الملك المعظم عيسى: شرف الدين عيسى بن السلطان العادل بن أيوب، كان عالي الهمة حازماً شجاعاً مهيباً فاضلاً، وكان محباً للأدب. اتسعت مملكته من حدود حمص الى العريش ويدخل في ذلك بلاد الساحل الاسلامية منها، وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد، توفي سنة ٦٢٤هـ ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى جبل الصالحية حيث فيها قبور جماعة من أهل بيته. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د. ت)، ج ٣، ص ٤٥٣.

(٤) الملك الكامل: محمد بن محمد بن أيوب بن شادي بن مروان ناصر الدين أبو المعالي بن السلطان العادل، لما أصبح سلطاناً على مصر كان ينفق الاموال على عمارة المساجد والمدارس، فضلاً عن مواقفه ضد الصليبيين في حملتهم الخامسة على دمياط، توفي في دمشق سنة ٦٣٥هـ. الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت٧٦٤ه): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت:٢٠٠٠ م)، ج ١، ص ١٥٨.

(٥) شافعي، سلام: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والايوبي، دار المعارف (القاهرة: ١٩٨٢ م)، ص ٢٦٦.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٦٧.

(٧) الملك الصالح: أبو الفتوح أيوب بن السلطان الملك الكامل بن الملك العادل، كان قد ولّاه أبوه على حصن كيفا وآمد وسنجار، ثم تولى السلطنة بعد عدة خلافات بين الامراء، وكانت له وقفة في الحملة الصليبية على دمياط وكان آنذاك يصارع المرض، وصف بأنه كان عزيز النفس عفيفاً حيياً، طاهر اللسان وقوراً كثير الصمت، وقد أكثر من شراء الاتراك حتى صاروا أكثر عسكره، وقعت الاكلة في فخذه فتوفي في النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ بقصر المنصورة، وقد أخفوا موته لأن الصليبيين على الابواب وحتى لا تتكسر معنويات الجيش، فدفن بتربته في القاهرة. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٩٨٥ م)، ج ٢٣، ص ١٩٣ وما بعدها.

(٨) شافعي، أهل الذمة، ص ٢٦٨.

(٩) ترتون، أس: أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، ط ٢ (القاهرة: ١٩٦٧ م)، ص ١٥٩.

(١٠) الاشرف خليل: صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون الالفي، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه، افتتح سلطنته في الجهاد ضد الصليبيين ففتح عكا وقلعة الروم وبهنسا، كان شجاعاً عالي الهمة عديم النظر في الشجاعة، وكان صاحب سطوة تخافه الملوك في أمصارها. قتل وهو في رحلة للصيد على يد الامير بيدرا والامير حسام الدين لاجين. ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ): مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية (القاهرة: د. ت)، ج ٢، ص ٤٢.

(١١) العارف، عارف: تاريخ القدس، دار المعارف (القاهرة: ١٩٥١م)، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(١٢) شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ٢٠١٠ م)، ج١، ص٢٥٤.

(١٣) مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٢٨هـ): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس (عمان: ١٩٧٣ م)، ج٢، ص ٤٠٢.

(١٤) الهروي، ابو الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١ه): الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل – طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (دمشق: ١٩٥٣م)، ص٢٨.

(١٥) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ): صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: د. ت)، ج ١٣، ص ٢٨٥.

(١٦) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: ١٩٦٠م)، ص١٦٣.

(١٧) الأنس الجليل، ج٢، ص ٤٠١ –٤٠٢.

(١٨) حمادة، الدكتور محمد ماهر: الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (بيروت: ١٩٨٣)، ص ١٢.

(١٩) صبح الاعشى، ج ١٢، ص ٢٨٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٨٩.

(٢١) الظاهر برقوق: أصله من الجركس، تم أخذ من هناك وجلب الى القاهرة، اشتراه الامير يلبغا الخاصكي واعتقه وجعله من مماليكه، وصار فيما بعد من الامراء الى أن تولى السلطنة بعد خلع السلطان البحري الصالح حاجي، ولقب بالملك الظاهر وانقادت له مصر والشام وقام بعدة اصلاحات توفي في القاهرة سنة ٨٠١هـ. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ): أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق محمد عبد المعبد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد (الدكن: ١٩٧٥م)، ج١، ص٤٧٥.

(٢٢) دراج، الدكتور أحمد: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة: ١٩٦٨ م)، ص ٤٩.

(٢٣) العزيزي، روكسي بن زائد: من توصيات ومواثيق المماليك للرهبان في القدس وضواحيها، (دمشق: ١٩٨٠ م)، ص ٢١٨.

(٢٤) برسباي: سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري، أصله من الجركس بيع ببلاد القرم فقدم به التاجر الى جهة الشام، فاشتراه منه الامير دقماق الظاهري نائب ملطية، فقدمه الى السلطان الظاهر برقوق في جملة مماليكه، وترقى في المناصب من سلطان لآخر الى أن تولى السلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد في شهر ربيع الثاني سنة ٨٢٥هـ، كان يجهز الجيوش المصرية والشامية فقد فتح جزيرة قبرص، وحاصر مدينة آمد، ثم رجع الى مصر وتوفي بها بعد مرضه سنة ٨٤٢هـ ودفن بتربته خارج القاهرة. ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج ٢، ص ١٥١ وما بعدها.

(٢٥) دراج، وثائق دير صهيون، ص ٥٤.

(٢٦) العارف، المسيحية في القدس، ص ٧٤.

(٢٧) بدر الدين العيني: لم نعثر له على ترجمة وافية سوى أنه من كبار علماء الحنفية، وقد تولى القضاء على المذهب الحنفي في عهد السلطان برسباي. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٩٩٨ م)، ص ٣٢٩.

(٢٨) دراج: المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار الفكر العربي (القاهرة: ١٩٦١ م)، ص ١٦٤.

(٢٩) جقمق: جقمق العلائي الظاهري سيف الدين أبو سعيد الشركسي، ولي أعمال الملك المؤيد شيخ وكذلك كان أتابكاً لابن الملك الاشرف عزيز إلاّ أنه أنفرد بالسلطة، اتصف بالعدل والشجاعة والتدين وكان فصيحاً بليغاً و فاضلاً، له اشتغال بفقه الحنفية، مفتياً، مات في القاهرة ونقل إلى تربة أبيه. ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي (القاهرة:١٩٥٦م) ج٤، ص٢٧٥.

(٣٠) العسلي، الدكتور كامل جميل: وثائق مقدسية تاريخية، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط ١ (عمان: ١٩٨٥ م)، ج ١، ص ٦٣.

(٣١) العزيزي، من توصيات ومواثيق المماليك، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١.

(٣٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): التبر المسبوك في ذيل الملوك، تحقيق الاستاذة نجوى مصطفى كامل والدكتورة لبيبة ابراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة: ٢٠٠٢ م)، ج ١، ص ١٦٧.

(٣٣) خشقدم: أبو سعيد بن عبد الله الناصري المؤيدي، كان مملوكاً اشتراه الملك المؤيد شيخ المحمودي في مصر، واعتقه واستخدمه، ثم عينه الظاهر جقمق (مقدم ألف) في دمشق سنة ٨٥٠هـ، وأعيد الى مصر وعينه الاشرف إينال (أمير سلاح) ثم ولاه المؤيد احمد بن إينال (أتابك العساكر) وثار المماليك على المؤيد احمد فخلعوه، ونادوا به سلطاناً سنة ٨٦٥هـ، قمع الفتن التي قام بها بعض امراء الجيش ومماليكهم، كان داهية، مهيباً كفوءاً للسلطنة، فصيحاً بالعربية، هدأت البلاد في أيامه، وتوفي في القاهرة سنة ٨٧٢هـ. ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (ت٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة: ١٩٨٣)، ج٢، ص١٩٥.

(٣٤) العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج ١، ص ٦٣.

(٣٥) العليمي، الانس الجليل، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣٦) قانصوه الغوري: أبو سعيد، ولد سنة ٨٧٦هـ في بلاد الغور، ثم أحضر إلى مصر، وهو شاب، فاشتراه الأمير قانصوه الألفي بمصر، وقدمه للسلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٩٨هـ فظهر أنه أخو سرية السلطان أصيل باي، وهي أم ولده الناصر محمد بن قايتباي، فاستخدمه ورقاه، وعرف بخال السلطان الناصر، وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد، فكان من أسعد المماليك حظاً في سرعة تقدمه. وكان عاقلاً حليماً، قليل المساوئ، لم يتهيأ له ما تهيأ للمماليك المولودين بمصر ولم تطل مدته، إذ خلعه أمراء الجيش سنة (٩٠٥هـ، فاختفى، ثم قبض عليه وأرسل إلى السجن بالإسكندرية. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية،(القاهرة: ١٩٦٧م)، ج٢، ص١٠٦؛ ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط١ (بيروت: ١٩٨٦ م)، ج ١٠، ص ١٥٩.

(٣٧) الخانقاه الصلاحية: وهي علو كنيسة القمامة، من أوقاف صلاح الدين الايوبي على الصوفية في سنة ٥٨٥هـ. العليمي، الانس الجليل، ج ٢، ص ٤٧.

(٣٨) البصروي، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد (ت ٩٠٥هـ): تاريخ البصروي، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث (دمشق: ١٩٨٨ م)، ص ٢٤٤.

(٣٩) المحمد، أنس عبد الله: الحياة الاجتماعية في القدس في عصر المماليك على ضوء وثائق الحرم القدسي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة دمشق (٢٠١٠ م)، ص ٣٠٩ ــ ٣١٠.

(٤٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٩٥.

(٤١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٤٢) يمكن ملاحظة ذلك من خلال المراسيم الصادرة عن سلاطين المماليك تجاه الرهبان وكيفية معاملتهم لهم بالحسنى. للمزيد ينظر المحمد، الحياة الاجتماعية في القدس، ص ١٤٤.

(٤٣) سورة البقرة، جزء من الآية (٢٥٦).

(٤٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط ٢ (بيروت: ١٣٨٧هـ)، ج ٢، ص ٦٠٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً ــ المصادر الاولية:

ــ ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (ت٩٣٠هـ):

١ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة: ١٩٨٣).

ــ البصروي، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد (ت ٩٠٥هـ):

٢ــ تاريخ البصروي، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث (دمشق: ١٩٨٨ م).

ــ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ):

٣ــ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي (القاهرة:١٩٥٦م).

٤ــ مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية (القاهرة: د. ت).

ــ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ):

٥ــ أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق محمد عبد المعبد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد (الدكن: ١٩٧٥م).

ــ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ):

٦ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د. ت).

ــ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هــ):

٧ــ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٩٨٥ م).

ــ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هــ):

٨ــ التبر المسبوك في ذيل الملوك، تحقيق الاستاذة نجوى مصطفى كامل والدكتورة لبيبة ابراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة: ٢٠٠٢ م).

ــ السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هــ):

٩ــ حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٧م).

ــ الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت٧٦٤ه):

١٠ــ الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت:٢٠٠٠ م).

ــ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هــ):

١١ــ تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط ٢ (بيروت: ١٣٨٧هــ).

ــ ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هــ):

١٢ــ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٩٩٨ م).

ــ العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٢٨هــ):

١٣ــ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس (عمان: ١٩٧٣ م).

ــ ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هــ):

١٤ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط١ (بيروت: ١٩٨٦ م).

ــ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هــ):

١٥ــ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ٢٠١٠ م).

ــ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هــ):

١٦ــ آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: ١٩٦٠م).

ــ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هــ):

١٧ــ صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: د. ت).

ــ الهروي، ابو الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١ه):

١٨ــ الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل – طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (دمشق: ١٩٥٣م).

ثانياًــ المراجع الحديثة:

ــ ترتون، أس:

١٩ــ أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، ط ٢ (القاهرة: ١٩٦٧ م).

ــ حمادة، الدكتور محمد ماهر:

٢٠ــ الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (بيروت: ١٩٨٣).

ــ دراج، الدكتور أحمد:

٢١ــ المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار الفكر العربي (القاهرة: ١٩٦١ م).

٢٢ــ وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة: ١٩٦٨ م).

ــ السيد، الدكتور علي السيد:

٢٣ــ القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١ (القاهرة: ١٩٨٦ م).

ــ شافعي، سلام:

٢٤ــ أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والايوبي، دار المعارف (القاهرة: ١٩٨٢ م).

ــ العارف، عارف:

٢٥ــ تاريخ القدس، دار المعارف (القاهرة: ١٩٥١م).

ــ العسلي، الدكتور كامل جميل:

٢٦ــ وثائق مقدسية تاريخية، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط ١ (عمان: ١٩٨٥ م).

ــ كانتور، فورمان:

٢٧ــ التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٣م).

ثالثاًــ الرسائل والاطاريح الجامعية:

ــ المحمد، أنس عبد الله:

٢٨ــ الحياة الاجتماعية في القدس في عصر المماليك على ضوء وثائق الحرم القدسي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة دمشق (٢٠١٠ م).

رابعاًــ الدوريات:

ــ العزيزي، روكسي بن زائد:

٢٩ــ من توصيات ومواثيق المماليك للرهبان في القدس وضواحيها، بحث ضمن المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (دمشق: ١٩٨٠ م).